الأصول الغامضة للقائد سرجون الأكدي وأثرها في صياغة شخصية البطل

د. محمد صبري عبد الرحيم
الهيئة العامة للآثار والتراث
بغداد - العراق

أ.د. رغد عبد القادر عباس
قسم التاريخ
كلية التربية - الجامعة المستنصرية
العراق
البريد الإلكتروني: raghadabdulqadir@gmail.com

الملخص

بالرغم من قلة المعطيات التاريخية التي تتناول سيرة هذا القائد العظيم و أصوله التي إنحدر منها، التي كتب عنها حينما كان ساقياً في بلاط الملك أورزبابا في كيش، برغم كل ذلك إلا أنه يذكر عن نبيله رضا و حب الإله مردوخ و الإلهة عشتار التي وعدته بالحكم، تمكن بعدها من تأسيس إمبراطوريته و إستمر في الحكم لـ 56 عاماً حقق خلالها ما عجز عنه الكثير من حكام العالم القديم و خلف في الحكم سلسلة من القادة العظام و على رأسهم نرام – سين حفيده.

"فإن كانت الرواية التي إكتنفها غموض والمتعلقة بولادة هذا القائد التاريخي و رحلته و مسيرة حياته التي طغى عليها كم من هالات التقديس و الغموض، إن كانت هذه الطروحات صحيحة، فلا يمكن عندها القول أنه كان قائداً لغزو محتمل قام به الأكديون الذين تطرقنا إلى أصولهم التي إنحدروا منها، و الذي إعتبر تاريخياً أول هجرة للغربيين نحو بلاد بابل. عند التدقيق في الأمر و درسه بشكل أكبر يمكن لنا القول أن لهجة سرجون المحلية التي غلبها على السومرية القديمة، قد أهلتها الدخول و الخدمة في بلاط ملك كيش، حيث نرى وجود أسماء لعدد من حكام هناك يحملون أسماء جزرية من بين أقدم الحكام هناك. وأنه بالرغم من أصله المتواضع و المجهول، تمكن أخيراً من فرض سيطرته على معظم أرجاء بابل و سومر و من ثم إمتد في حكمه وتأثيره ليضم تحت سلطانه مساحات مترامية الأطراف من منطقة جنوب غربي آسيا لتشمل بلاد الرافدين و سواحل البحر المتوسط و قبرص و الأناضول و بلاد عيلام و الخليج و الجزيرة العربية وصولاً إلى أجزاء من وادي السند مثل خرابا وموهنجدارو و كذلك بدخشان في أفغانستان".

الكلمات المفتاحية: سرجون الأكدي، العراق القديم، شخصية البطل.

The Mysterious Origins of the Leader Sargon of Akkad and its Impact on the Formulation of the Character of the Hero

Prof. Dr. Raghad Abdel Qader Abbas
History Department
College of Education - Al-Mustansiriya
University
Iraq
Email: raghadabdulqadir@gmail.com

Dr. Mohamed Sabry Abdel Rahim
The State Board of Antiquities and
Heritage
Baghdad, Iraq

ABSTRACT

Despite the lack of historical data dealing with the biography of this great leader and his origins from which he descended, which he wrote about when he was a (Drink Offered) in the court of King Urzbaba of Kish.

When examining and studying further, we can say that the local Sargon dialect, which prevailed over the ancient Sumerian, was qualified to enter and serve in the court of the King of Kish, where we see the names of many with Semitic names among the oldest rulers there. despite all this, he mentions the satisfaction and love of the god Murdoch and the goddess Ishtar, who promised him to rule. He finally managed to establish his empire and continued to rule for 56 years during which he achieved what many rulers of the old world and succeeded in the verdict a series of great leaders, led by His Grandson Nram-Suen. "If the story that has been shrouded in mystery concerning the birth of this historic leader, his journey and the march of his life, which has been overshadowed by how many halos of sanctification and ambiguity, if these proposals are true, then it cannot be said that he was the leader of a possible invasion by the AKadians, whom we previously discussed their origins, which was historically considered the first exodus of Westerners to Babylon. Despite his humble and unknown origin, he finally gained control over most of Babylon and Sumer and then extended his rule and influence to include sprawling areas of South-West Asia to include Mesopotamia, the Mediterranean coasts, Cyprus, Anatolia, Elam, the Gulf and Arabia, as well as parts of the Sindh Valley such as Kharba and Mohangdaro, as well as Badakhshan in Afghanistan.

Keywords: Sargon of Akkad, ancient Iraq, hero character.

مقدمة

بين ثنايا التاريخ، نرى أبطالاً وقادة تمكنوا من أن يحفروا أسمائهم فيه و أجبرونا على تذكرهم حتى بعد الآلاف من السنين بالنظر إلى الأفعال و الإنجازات و الإسهامات التي تركوها لنا و لأجيال من بعدنا. و إن إختلفنا أو إتفقنا حيال منجزاتهم و الطريقة التي تعاملوا بها مع الأحداث و الناس و أفكارهم و إلى غير ذلك من تدابير إتخذوها، فإننا لا يمكن أن نغفل أو نتجاهل براعتهم و حنكتهم الإدارية و الإنجازات التي حققوها في كافة ميادين الحياة.

و على الرغم من طروحات السبق الحضاري و السعي إلى إبراز مكانة الأبطال و القادة التاريخيين ممن تتفاخر بها الأمم، مدعية كونها الموطن الأصلي لبزوغ الحضارات و صناعة الشخصيات التاريخية الفذة التي تصدرت صفحات كتب التاريخ و أخباره، و محاولة كل أمة أن تنسب لنفسها المكانة الأسمى في الإنجاز الحضاري و منح قادتها التاريخيين أعلى المراتب في الإنجاز و العظمة.

بالإشارة إلى ما سبق من سطور و كلمات، وددنا من خلال البحث المتواضع هذا أن نشير و نوضح الدور المميز الذي لعبه القائد الأكدي سرجون في خلق أول و أعظم إمبراطورية¹ (الخريطة 1) في التاريخ القديم للعالم مستنداً إلى حنكته الإدارية و خبراته في تسيير شؤون الدولة و حسن القيادة في واحدة من بقاع العالم القديم التي تميزت بكثرة النزاعات و تعدد القوميات و صراعاتها فيما بينها للهيمنة على مصادر العيش و الإزدهار.

على الرغم من إختلاف الباحثين في تحديد الموطن الأصلي للأكديين، الذين ينتمي سرجون لهم، إلا أن الأكثر قبولاً من النظريات التي تناول أصولهم؛ كونهم من الأقوام الجزرية التي أنحدت من موضع ما من شبه جزيرة العرب و إنتقلت في زمنٍ ما نحو الأجزاء الشمالية الغربية من بلاد الرافدين قادمين من بلاد الشام بمحاذاة نهر الفرات².

بعد هذه المقدمة المقتضية عن الأكديين، نستهل الحديث عن أول قائد منهم ذاع صيته في العالم القديم و عرف بقوته و إنجازاته و إسمه (سرجون) الذي إقترن بإسم (نمرود) الذي ورد ذكره في العهد القديم "جاعلاً من نفسه ملكاً على سومر و أكد، إذ يرد أن المقطع الأول من إسم سرجون أي (sar – shar) يعني الحاكم أو الملك، أما المقطع الثاني (gon, gan, kin , gina) فربما يقترب من اللفظة اللتينية أو الإنكليزية (cain) ذات الصلة بالإسم قابيل ابن آدم³.

¹ تمثلت إمتدادات هذه الإمبراطورية بداية بين بلاد أكد و سومر ، و إمتدت من البحر العلوي (البحر المتوسط) إلى البحر السفلي (الخليج العربي) مشتملة على معظم أجزاء الهلال الخصيب و عيلام و أجزاء من آسيا الصغرى إلى ساحل المتوسط و ربما أبعد من ذلك حيث عدت واحدة من أعظم إمبراطوريات الشرق القديم و أولها.

Brian Lewis, "The Sargon Legend", ASOR, Cambridge, 1980, P. 110.

ليونارد وولي، وادي الرافدين مهد الحضارة، تعريب أحمد عبد الباقي، ط 1، مصر 1948، ص ص 59-60.

أحمد سوسة، العرب و اليهود في التاريخ، ط 2، سلسلة الكتب الحديثة، دمشق، 1973، ص 68.

² رعد عبد القادر عباس، العصر الأكدي معطياته الحضارية و الفنية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب، قسم الآثار، 1996، ص ص 4-6. ينظر كذلك:

جين بوتيرو و آخرون، الشرق الأدنى الحضارات المبكرة، ترجمة عامر سليمان، جامعة الموصل، 1986، ص 70.

طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج 1، ط 1، بغداد، 1973، ص 65.

³ Mary, G. Hauslon., Ancient Egyptian Mesopotamian Persian Costume and Decoration, London, 1854, PP 115-116.

ذكرت النصوص المسمارية هذا الملك بالإسم (شاروكين sharru – kin) التي تعني الملك الصادق أو الملك الحقيقي أو الشرعي (The True King).¹ فيما يرتبط بنسب هذا القائد التاريخي و أصوله التي إنحدر منها، تذكر النصوص ان أمه كانت كاهنة عليا و أن مدينته هي (أزوبيرانو Azupiranu) التي قد تكون مدينة "الزعران" و التي نجهل موقعها حتى اللحظة، ربما تقع في مكان ما عند شاطئ الفرات قرب نهر الخابور.² تذكر النصوص أن سرجون كان يجهل هوية أبيه، على الرغم من وجود رواية سومرية يذكر فيها سرجون أنه كان يرعى الماشية و أن إسم والده كان (لابيئوم Lapium)، و هذا قد يكون إشارة إلى أنه وظف هذا الإسم و استخدمه ربما ليكسب عطف الناس.³ أما أمه، فتذكر بعض الروايات أنها ولدت في السر، إذ كان محرماً على كاهنات المعابد الزواج و الحمل " وهي كاهنة"، لذا قامت بعد ولادته بوضعه في سلة ربما من القصب أحكمت سدها بالقيصر كي لا يصل الماء إلى الطفل و ألقت به في نهر الفرات حتى جرفته المياه إلى أن رآه بستاني إسمه (أقي أو أقي Aqqi) الذي أخذه و رباه و علمه حرفة البستنة.⁴ "إن قصة أصل سرجون و نسبه تشبه إلى حد كبير قصة النبي موسى عليه السلام، إذ يظهر الشبه في الطريقة التي يتخلصون بها من الطفل غير المرغوب بوجوده، إذ يقومون بوضعه في سلة من القصب و من ثم يرمى في النهر، فيطفو إلى أن يتم إنقاذه من قبل أحد الأشخاص، إلا أن القصة التي تبدو أكثر قرباً و شبهاً مع قصة سرجون هي قصة (سايروس Cyrus) الهيليني (كورش)؛ يظهر أن من بين أبرز نقاط التشابه بينهما؛ أن كلا من سرجون و سايروس قد تركهما والداهما، و أن كلتا الشخصيتين وقعتا في أيدي إنسان بسيط قام بتربيتهما و أصبح كلاهما بستانياً، و أن كلا من البطلين أصبحا حاملين لكؤوس الملك، و أخيراً فإن الشخصيتين أصبحتا من الشخصيات التاريخية العظيمة، إذ تمكنا من إعتلاء دفة الحكم و السيطرة على أجزاء و اسعة من بلاد كل منهما و هذا واضح على وجه الخصوص من خلال قصة سرجون".⁵

¹ Dury, Carel J. ., Volker der Alten Orient, Baden, 1969, PP. 69-73.

Schulze Franz., Art, Architecture and Civilization, University of Virginia, 1968, P. 65.

طه باقر، مقدمة في أدب العراق القديم، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1976، ص 139.

² William W. Hallo and William K. Simpson., The Ancient Near East; A History, U.S.A., 1971, P. 55.

رغد عبد القادر عباس، مصدر سابق، 1996، ص 11-12.

³ سامي سعيد الأحمد، العراق القديم (العصر الأكدي حتى نهاية سلالة بابل الأولى)، ج 2، بغداد، 1983، ص 18.

⁴ فاضل عبد الواحد علي، عشتار و مأساة تموز، منشورات وزارة الإعلام بالجمهورية العراقية 162، بغداد، 1973، ص 159.

فوزي رشيد، "سرجون الأكدي"، الموسوعة الذهبية، العدد 1، وزارة الثقافة والإعلام، ط 1، بغداد، 1990، ص 18.

فرج بصمجي، نبذة في تاريخ العراق القديم، بغداد، 1960، ص 13.

Seton Lloyd E.S.A., Twin Rivers, Oxford, 1943, PP. 31-33.

Nicholas Postgate, The First empires, Belgium, 1977, PP. 77-78.

⁵ عامر سليمان، العراق في التاريخ القديم، ج 1، ط 1، الموصل، 1992، ص 153.

Brian Lewis, "The Sargon Legend- A Study of the Akkadian Text and the Tale of the Hero at Birth", JNES, Vol. 43, 1984, P. 76.

Drews Robert, "Sargon Cyrus and Mesopotamian Folk History", JNES, Vol. 33, No. 4, Chicago, 1947, PP. 388-390.

Sidney Smith, Early History of Assyria to 1000 B.C., London, 1928, P. 82.

فيما يتعلق بالتاريخ السياسي لسرجون الأكدي فلم يكن ليبدأ إلا بعد أن غادر كيش¹ و تذكر الأسطورة الخاصة بمولده² أن بداياته في المشهد السياسي في البلاد كان عندما عمل ساقياً للخمر في بلاط الملك (أورزبابا، الملك الثاني في سلالة كيش الثالثة)³ و ربما تكون الرواية المرتبطة بطلب أورزبابا منه تغيير جرايات معبد (الإيساكيللا) الكائن في بابل و رفض سرجون تنفيذ هذا الأمر، ربما يكون هذا الأمر هو البداية الحقيقية لصعود سرجون على المستوى السياسي بعد أن نال رضا الإله القومي لبابل (مردوخ) عن رفضه تنفيذ الأمر الذي أشرنا إليه⁴ و غضب الإله المذكور على ملك كيش أورزبابا و رضا الإلهة عشتار عن فعل سرجون و وعده بالملك لحقبة طويلة من الزمان و تمكينه من تأسيس إمبراطوريته.⁵

مع ما تقدم فإن ظروف و ملابسات " عملية إستيلاء سرجون على مقاليد الحكم غامضة! فهل ياترى كانت عن طريق ثورة أنهت حكم الملك أورزبابا؟ أم عن طريق آخر؟ و من بعد ذلك مجيء خمسة ملوك آخرين في هذه المدينة المركزية و من أشهرهم الملك (لوكال زاكيزي Lugal Zagizi) حاكم مدينة أوما و مؤسس سلالة الوركاء الثالثة الذي قضى على سلالة كيش".⁶

من ناحية أخرى، و على الرغم من قلة المعطيات التي تشير إلى ذلك، تذكر بعض مصادر عن حدوث معركة بين لوكال زاكيزي و سرجون لاتعرف تفاصيلها على وجه الدقة، إلا أنها كانت حرباً عنيفة نظراً للقوة التي إمتلكها لوكال زاكيزي آنذاك، إلا أن هجوم سرجون العنيف و المباغت على الوركاء الذي دمر أسوار المدينة و تمكن من أسر لوكال زاكيزي هناك.⁷ عن هذا الموضوع تذكر المصادر عن العثور على مسلة في مدينة نفر جنوبي العراق، تظهر عليها كتابة دونها كاتب من مدينة نفر و كانت وضعت من قبل ملوك أكد في معبد إي كور الخاص بالإله إنليل في المدينة المذكورة. من هذه الكتابات التي تعلق هذه المسلة هناك نصين ينسبوا إلى سرجون دونا بالأكدي القديمة و السومرية الأكدي (نص مزدوج اللغة) و يذكر النص الاتي:

¹ J.E.S. Edawrds, C. J. Cadd, N. E. L. Hammond, The Cambridge Ancient History, 3rd Edition, Cambridge University Press, 1970, P. 219.

² هذه الأسطورة المتعلقة بمولد سرجون الأكدي متوفرة بنسختين غير مكتملة بالخط الآشوري الحديث فضلاً عن كسرة بابلية حديثة. يمكن مراجعة:

J. B. Pritchard, "Akkadian Myths and Epics", Edited by Speiser, ANET, New Jersey, 1969, P. 119.

البيبر أبونا، المعتقدات الدينية في بلاد وادي الرافدين، ترجمة وليد الجادر، بغداد، 1988، ص 166.

³ جون أوتس، بابل تاريخ مصور، ترجمة سمير عبد الرحيم الجلي، بغداد، 1990، ص 48.

عامر سليمان و أحمد مالك الفتیان، محاضرات في التاريخ القديم، بغداد، 1978، ص 97.

Nicholas Postgate, Op. Cit., 1977, PP. 77-78.

سلمي سعيد الأحمد، العراق القديم، ج 1، مطبعة الجامعة، بغداد، 1978، ص 278.

Henry Frankfort, Birth of Civilization in the Near East, New York, 1950, PP. 82-83.

⁴ طه باقر و فاضل عبد الواحد علي و عامر سليمان، تاريخ العراق القديم، ج 1، بغداد، 1980، ص 143.

⁵ جون بوتس/ مصدر سابق، 1990، ص 48. فرج بصمجي، كنوز المتحف العراقي، وزارة الإعلام، السلسلة الفنية، مديرية الآثار العامة، بغداد، 1972، ص 29.

⁶ لوكال زاكيزي: هو الذي قضى على حاكم مدينة لكش (أورو أنمكينا)، و فرض سيطرته على معظم بلاد سومر و أكدو أقام دولة الفطر الواحدو وحد بين المدن و أنشأ إمبراطورية إشمملت على أجزاء من الشرق الأدنى و إنتهى عصر فجر السلالات السومرية بنهاية حكمه.

رغد عبد القادر عباس، مصدر سابق، 1996، ص ص 14-15. ينظر أيضاً:

عامر سليمان و أحمد مالك الفتیان، مصدر سابق، 1978، ص 97.

إبراهيم أحمد زرقانة و محمد أنور شكري و عبد المنعم أبو بكر و حسن محمود و عبدالنعم حسنين، حضارة مصر و الشرق القديم، دار مصر للطباعة، بدون تاريخ، ص 285، 287.

طه باقر، مصدر سابق، 1973، ص 361.

⁷ رغد عبد القادر عباس، مصدر سابق، 1996، ص 15.

"أن سرجون أسر لوكال زاكيزي ملك الوركاء في معركة جرت بينهما و قد إنتصر فيها سرجون الأكدي و قام بجلب لوكال زاكيزي و هو محاط بطوق خشبي، الذي عد من أهم مظاهر المسلة التي نتحدث عن مضمونها في هذه السطور و ذلك لمنعه من الحركة، مثل هذا الطوق نراه في مسلة أخرى تعود للعصر الأكدي عثر عليها في تلو (كرسو)، بذلك يمكن إدراك أن هذه الطريقة كانت لإظهار قوة سرجون من جهة و إذلال لوكال زاكيزي من الجهة الأخرى".¹

من عوامل الغموض الأخرى التي يمكن الحديث عنها أيضاً، موضع العاصمة الأكديّة (أكد) و أصل التسمية؛ أما عن الموضع فيبقى مجهولاً حتى يومنا هذا، مع احتمالات قد تشير إلى أنها تقع ربما في مكان ما إلى الجنوب و الجنوب الغربي من بغداد في منطقة تسمى اليوم (اليوسفية).² و يبقى إسم الأكديين يتردد في الكتابات التاريخية و المصادر التي تشير إليهم بشكل مضطرب، على الرغم من عدم العثور على العاصمة أكد.³

أما عن أصول التسمية فتبقى هي الأخرى من الأمور التي لم يتوصل الباحثون إلى جذورها الأصلية على الرغم من وجود آراء تشير لوجود علاقة بين الإسم (أقي أو أكي Aqqi) الذي سبق و أشرنا إليه في ثنايا البحث و هو ساقى الملك الذي تولى تربية سرجون و تنشئته.⁴

في محاولتنا لفهم طريقة تفكير الأكديين وأساليب العيش التي إتبعوها، يمكن للمتتبع أن يدرك أنهم، أي الأكديين، جاؤوا من خلفية بدوية و عاشوا حياة الرعاة المتنقلين، رغم أنهم لا قوا في طريق زحفهم حضارة و ثقافات على قدر من التقدم و المدنية.⁵ و على ما تقدم يمكن فهم أن الأكديين و هم جزء من الأقوام الجزرية التي هاجرت من شبه الجزيرة العربية و إستقرت في بقاع مختلفة من الشرق الأدنى القديم قد تميزوا بتشابه لغاتهم و تركيب عقليتهم و تأثرهم بالغبيبات و ميلهم للبساطة في التفكير.⁶

عمل سرجون بعد بسط سيطرته على إنشاء دولة مركزية موحدة بحدود ثابتة و أسر حاكمة معينة قبله بعد القضاء على دويلات المدن الصغيرة التي سادت في الحقبة السومرية التي سبقت العهد الأكدي مرسخاً مبدأ الوحدة الوطنية و جاعلاً من نفسه و من جاؤوا بعده من الحكام الأكديين الأقوياء آلهة له كل التقديس و الإحترام من كل

¹ Edmund I. Gordon, "Of Princes and Foxes: The Neck-Stock in the Newly Discovered Agade Period Stele", Sumer, Vol. XII, No. 1-2, Baghdad, 1956, PP. 80, 83-84.

طه باقر، مصدر سابق، 1973، ص 361.

² لمزيد من المعطيات عن هذا الشأن ينظر: رعد عبد القادر عباس، مصدر سابق، 1996، ص ص 15-16.

³ بلاد أكد: الجزء السفلي من بلاد الرافدين، كان يعرف ببلاد سومر و أعلى منه تقع بلاد أكد التي تمتد إلى الجنوب من بغدادو كلاً من بلاد سومر و أكد كانت تعرف ببلاد بابل.

Henry S. Lucas, A Short History of Civilization, York, 1943, P. 14.

Jack Finegan, Light From the Ancient Past, U.S.A., 1954, P. 38.

عبد القادر عبد الجبار الشيعلي، المدخل إلى تاريخ الحضارات القديمة، القسم الأول، الموصل، 1990، ص 91-91. سيتون لويد، آثار بلاد الرافدين من العصر الحجري القديم حتى الإحتلال الفارسي، ترجمة: سمي سعيد الأحمد، بغداد، 1980، ص ص 159-161.

نيكولاي بوستغيت، حضارة العراق و آثاره – تاريخ مصور، ترجمة: سمير عبد الرحيم الجليبي، دار المأمون للترجمة و النشر، بغداد، 1991، ص 77.

⁴ عبد الكريم عبدالله، "ألقاب حكام السلالات و إسم أكد"، مجلة كلية الآداب، ملحق، بغداد، 1978، ص 245-246.

⁵ رعد عبد القادر عباس، مصدر سابق، 1990، ص 10.

Adil Naji, Akkadian Cylinder Seals in the Iraq Museum, Unpublished M. A. Thesis, Birmingham University, 1965, P. XII.

Henry S. Lucas, OP. Cit., 1943, P. 72.

⁶ صالح أحمد العلي، محاضرات في تاريخ العرب، ط2، ج 1، بغداد، 1959، ص 6.

الأقوام التي تعيش في كنف النظام السياسي الإمبراطوري الجديد الذي نشأ لأول مرة في الشرق القديم على هذا المستوى من الإتساع والشمولية.¹

لأسباب تتعلق ربما بفرض الإرادات والهيمنة على زمام الأمور وإخضاع العامة وتركيع عليّة القوم من الطبقات الحاكمة السابقة ورجال الدين الذين كانوا يتمتعون بقدر عالٍ من السلطة والقوة في العهد السابق وفرض نظام سياسي صارم لإدارة هذه الإمبراطورية مترامية الأطراف، كان لابد من تعزيز الغموض الذي يحيط بهذا الرجل القوي والقائد العظيم.

وليتحقق ذلك ولإسكات كل الأصوات المناهضة أضحي من الضروري بمكان الحصول على تفويض من الآلهة لتعزيز الملكية الأكديّة التي يفترض أنها نزلت من السماء كما كان الحال عليه إبان عصر فجر السلالات السومرية السابق، لإضفاء الشرعية على الحكم من قبل الآلهة؛ أي أننا هنا عدنا للكلام عن الغيبية والغموض من أجل التمكين وليصبح الملك هو الإله السيد مالك كل شيء مستمداً العزم والقوة من الآلهة التي منحتة الشرعية والسلطة.²

بناءً على ما تقدم من أفكار، يمكن للمتتبع أن يرى أن هناك أسلوباً للقيادة ومنهجاً يتبعه القادة الأكديون وعلى رأسهم وأولهم سرجون لتنظيم العلاقة بينه وبين الأتباع سواء على الصعيد الرسمي أم غير الرسمي، على الرغم من كم التنوع في الأهداف والمعتقدات وصولاً لتحقيق الغاية في كسب ودهم والوصول إلى تحقيق نسبة من التعاون أو حتى الإخضاع القائم على أوامر أو توجيهات من جهات لها القدسية وتوجيه السلوك الإنساني بما يتلاءم ربما مع نظريات العقد الاجتماعي (تخلي الأفراد عن بعض حرياتهم والخضوع لسلطة الحاكم). لذلك وعندما نريد الحديث عن البطولة والقيادة لابد وتبادر إلى أذهاننا مفاهيم الشخصية القوية والغامضة ذات المقدرة على القيادة وتسيير شؤون الرعية والأمور كافة بحنكة ودهاء تترافق مع رضا وخضوع من المحكومين.

من خلال دراسة كل الأفعال والإنجازات التي قام بها سرجون، نرى أنه كان محوراً للمحيطين به، مارس التأثير عليهم وزرع الأدوار على من يتبعوه بنظام قيادة مركزية محققاً نوعاً من الهيمنة والسطوة على من أحاطوا به، أي أننا يمكن أن نقول هنا أن هذا البطل ولد قائداً وتمتع بخصائص غامضة حفزت الآخرين على إتباعه والخضوع لإراداته. هذه القيادة يمكن النظر لها أنها شكلت نوعاً من نمط مركب للشخصية التي أدت أدواراً قامت على قدر كبير من الغموض و صفات القيادة التي جعلت منه محوراً لمسيرة تاريخية أدت إلى تأسيس أولى الإمبراطوريات في العالم القديم، كما كان الفراعنة محوراً للتاريخ المصري القديم والقياصرة في روما القديمة وغير ذلك من نماذج القيادة في التاريخ، ممن ساهم الحدث التاريخي والأفكار المهيمنة على المجتمع في صناعته والعمل على تحديد دورهم المجتمعي والمكانة التي وصلوا إليها عبر مسيرة التاريخ وجعلهم أهلاً للتبجيل وربما وضعهم في مصاف الآلهة ومنحهم الكثير من الصفات القدسية.

عمل سرجون بعد تثبيت أركان حكمه على توسيع السيطرة الأكديّة على أرجاء الشرق القديم والتأكيد على مفهوم الملكية العالمية، ووصل الأمر إلى حد تسمية الملوك الأكديين لأنفسهم بالإسم (ملك الجهات الأربع).³ كما وصل الأمر بالملوك الأكديين ومنهم نرام - سين لأن يضيفي على نفسه صفات وألقاب الآلهة العظام وأصبحوا كذلك ممثلين للآلهة على الأرض، كما أطلقوا على أنفسهم ومنهم شاركالي شري، تسمية أو لقب ملك العالم أو سيد سومر وأكد.¹

¹ عبد الرضا الطعان، الفكر السياسي في العراق القديم، دار الرشيد، بغداد، 1981، ص 94، 289.
جان بوتيرو، بلاد الرافدين الكتابة - العقل - الآلهة، ترجمة: البير ابونا، مراجعة وليد الجادر، بغداد، 1990، ص 286.
Robert McC Adams, Land Behind Baghdad, Chicago, 1965, P. 43.

أحمد سوسة، حضارة العرب ومراحل تطورها عبر العصور، بغداد، 1979، ص 139.
عامر سليمان، القانون في العراق القديم - دراسة تاريخية قانونية حضارية، ج 1، الموصل، 1977، ص 123.

² عبد الرضا الطعان، مصدر سابق، 1981، ص 121، 394، 431، 658.

³ عامر سليمان وأحمد مالك الفتیان، مصدر سابق، 1978، ص 107.
جان بوتيرو، مصدر سابق، 1986، ص 113.

و على الرغم من أن ما سنذكر كان يعد كفراً و خروجاً عن الأعراف و التقاليد، إلا أن الملوك الأكديين و نتيجة لإتساع رقعة الإمبراطورية التي أسسوها و صعوبة فرض سيطرتهم على المدن رغم كل الإجراءات التي إتخذوا، إلا أنهم عمدوا و الحال هكذا إلى إضفاء الصفة القدسية على أنفسهم، أي الملوك، و أولهم كان نرام - سين الذي ظهر في كثير من الأعمال الفنية مرتدياً لتاج الألوهية المقرن و جعل من نفسه زوجاً للإلهة عشتار.² (الشكل 1)

من الأعمال و الإجراءات الإدارية التي قام بها سرجون مما يستدعي الإنتباه و الوقوف عندها، كان سعيه إلى ربط أواصر الأخوة و تعزيزها بين القوميات المختلفة المنضوية في ظل الإمبراطورية الناشئة، كما إن فصل الدين عن السياسة ساعد على تطبيق هذه الإجراءات التي أشرنا إليها في أعلاه، فلم تعد هنالك فروق بين الشعوب و القبائل التي تعيش في كنف الدولة الأكديّة، فضلاً عن إدعاء سرجون بعدم معرفته لأبيه، الأمر الذي ساعد على دفع هذه الأقوام إلى الإعتقاد أنه منهم، و من الناحية الأخرى فإن إدعائه أيضاً أن أخيه من سكان الجبال، عمل على تقوية العلاقة بين سكان السهول و سكان الجبال.³

إضفاء المزيد من الإحترام و إخضاع مواطنو الدولة عمد الملوك الأكديين على بل و تفاخروا بتنصيب العدالة، إذ ورد إلينا نص يشير فيه سرجون إلى أنه: "ملك العدالة الرجل الذي ينطق بالعدل" على الرغم من إعتبار الجزريين أن العدالة و القانون هي شأن من شؤون الآلهة التي عدت ينبوع العدالة و مصدر القوانين، و أن القوانين التي يصدرها الملك كانت بوحى و توجيه من الآلهة.⁴

للتأكيد على غموض الخلفية التي جاء منها سرجون و لتوضيح الأرضية الفكرية التي إستند إليها، لابد من الوقوف على شأن غاية في الأهمية؛ و عند عقد مقارنة بين الديانة المصرية القديمة و نظيرتها في العراق القديم، نرى أن الآلهة العراقية القديمة كانت تتسم بالشخصية الوهمية و الخيالية و التعقيد و قلة عددها مقارنة بالآلهة المصرية التي كبر عددها و تميزت بإعتمادها على حقيقة متميزة.⁵ أما فيما يتعلق بالفكر الديني لدى الأكديين، فقد إعتبره البعض من الباحثين أنه فكر ديني يتسم بالعلمية توصل على وضع و بناء مفهوم الإيمان و إتسم كما سبق و ذكرنا بتعدد الآلهة، على الرغم من أن عددها أصبح أقل مما كان سائداً في الحقبة السابقة "عصر فجر السلاسل السومرية"، عمد فيه الأكديون إلى ترتيب الكون بشكل أبدي و وضعوا روابط بين الآلهة و النجوم و الكواكب أي بين عالم الآلهة و النجوم و الكون، على الرغم من أنها قامت في البداية على أسس خيالية.⁶

تمكن سرجون من مد نفوذه في إتجاهين رئيسيين؛ نحو الشرق و الغرب؛ أي في مساحة شاسعة امتدت بين البحر المتوسط و الخليج العربي و البحر العربي جنوباً و فرض سيطرته على ما يقرب من (65) بلداً بعد أن خاض (43) معركة إبتداءً من السنة الثالثة من حكمه تمكن فيها من مد نفوذه على مناطق في عيلام و بلاد آشور و

¹ سامي سعيد الأحمد، مصدر سابق، 1983، ص 40.

C.J. Cadd, The Cambridge Ancient History, Vol. 1, Part 2, Cambridge, 1971, P. 441.

سامي سعيد الأحمد، "الإدارة و نظام الحكم"، حضارة العراق، ج2، تأليف نخبة من الباحثين، بغداد، 1985، ص 17.

² جان بوتيرو، مصدر سابق، 1986، ص 117.

طه باقر، مصدر سابق، 1973، ص 367 - 368.

Erica Hunter, First civilization, Belgium, 1994, P. 53.

إدوارد كيرا، كتبوا على الطين، ترجمة: محمود حسين الأمين، ط2، بغداد، 1964، ص 97.

رغد عبد القادر عباس، مصدر سابق 1996، ص 25-26.

³ فوزي رشيد، مصدر سابق، 1990، ص 50-51.

⁴ عبد الرضا الطعان، مصدر سابق، 1981، ص 544.

جان بوتيرو، مصدر سابق، 1986، ص 118.

عامر سليمان، مصدر سابق، 1977، ص 137-138.

⁵ George Rawlinson, The Religions of the Ancient World, N.Y., 1885, P. 11, 13.

⁶ جان بوتيرو، مصدر سابق، 1970، ص 7، 173-174.

جعلها جزءاً من إمبراطوريته مترامية الأطراف.¹ و بات من الواضح للمتبع مدى الانتصارات التي حققها سرجون و تواصلت في عهد الحكام الأكديين الذين جاؤوا من بعده، إذ قلده ملوك من إمبراطوريات أخرى، فهناك إشارات أن سرجون الآشوري إقتدى بسرجون الأكدي الذي سيطر على معظم أنحاء الشرق الأدنى القديم و إعتبره سرجون الآشوري بمثابة (القديس الحامي).² كما و من ناحية أخرى يلاحظ على الديانة الأكديّة الشعور العميق بشخصية الإله، إذ أن له القوة العظمى والسيطرة المطلقة على البشر.³ بناءً على هذا النمط من التفكير، لن يكون غريباً رؤية هذا العاهل ومن جاء من بعده من الحكام الأكديين الادعاء بالآلوهية أو على أقل تقدير أن ينسبوا لأنفسهم صفات الآلهة والتقدّيس ليتمكنوا عبر ذلك من فرض سيطرتهم وإضفاء هالة من الغموض حول شخصياتهم.

الخاتمة:

"فإن كانت الرواية التي إكتنفها غموض و المتعلقة بولادة هذا القائد التاريخي و رحلته و مسيرة حياته التي طغى عليها كم من هالات التقديس و الغموض، إن كانت هذه الطروحات صحيحة، فلا يمكن عندها القول أنه كان قائداً لغزو محتمل قام به الأكديون الذين تطرقنا إلى أصولهم التي إنحدروا منها، و الذي إعتبر تاريخياً أول هجرة للغربيين نحو بلاد بابل. عند التدقيق في الأمر و درسه بشكل أكبر يمكن لنا القول أن لهجة سرجون المحلية التي غلبها على السومرية القديمة، قد أهلتها الدخول و الخدمة في بلاط ملك كيش، حيث نرى وجود أسماء لعديد من حكام هناك يحملون أسماء جزرية من بين أقدم الحكام هناك. وأنه بالرغم من أصله المتواضع و المجهول، تمكن أخيراً من فرض سيطرته على معظم أرجاء بابل و سومر و من ثم إمتد في حكمه وتأثيره ليضم تحت سلطانه مساحات مترامية الأطراف من منطقة جنوب غربي آسيا لتشمل بلاد الرافدين و سواحل البحر المتوسط و قبرص و الأناضول و بلاد عيلام و الخليج و الجزيرة العربية وصولاً إلى أجزاء من وادي السند مثل خرابا و موهنجدارو و كذلك بدخشان في أفغانستان".

بالرغم من قلة المعطيات التاريخية التي تتناول سيرة هذا القائد العظيم و اصوله التي إنحدر منها و التي كتب هو عنها حينما كان ساقياً في بلاط الملك أورزبابا في كيش، برغم كل ذلك إلا أنه يذكر عن نبيله رضا و حب الإله مردوخ و الإلهة عشتار التي وعدته بالحكم، و تمكن أخيراً من تأسيس إمبراطوريته و إستمر في الحكم لـ 56 عاماً حقق خلالها ما عجز عنه الكثير من حكام العالم القديم و خلف في الحكم سلسلة من القادة العظام و على رأسهم نرام - سين حفيده.

في حال تطبيقنا لبعض من معاييرنا الاجتماعية و الأخلاقية التي تحكم بعضاً من تصرفاتنا و التوجهات الفكرية التي تحدد جزءاً من مسارات حياتنا اليوم، و بخاصة نحن ممن نعيش في هذا الجزء من المعمورة، و بحكم الكثير مما تعلمنا أو جبلنا عليه، ربما و على الأغلب لم نكن لنختلف عن أسلافنا القدماء الذين نظروا لهؤلاء القادة و الأبطال أو الشخصيات التي تمكنت من الوصول إلى سدة الحكم و فرضت سطوتها و هيمنت على أجزاء مترامية الأطراف من الشرق الأدنى القديم، نقول لم نكن لنختلف عنهم من حيث وجهة النظر خاصتنا المتعلقة "بالتقدّيس" لهذه الشخصيات التاريخية التي أتت من خلفيات فيها كثير من غموض. فيما تقدم لم نحاول فرض وجهة نظر بعينها على المهتمين بالشأن التاريخي ودراسته، بل هي وجهة نظر ربما تحتل الصواب والخطأ.

¹ ر غد عبد القادر عباس، مصدر سابق، 1996، ص ص 57-61.

² McC Adams, Op. Cit., 1965, P. 43.bstract

³ S. C. F. Brandon, Religion in Ancient History, N. Y., 1969, P. 3.

خريطة (1) تظهر إمتدادات الإمبراطورية الأكديّة

الشكل (1) رأس التمثال الذي يعتقد أنه يمثل سرجون الأكدي.

المصادر

1. إبراهيم أحمد زرقانة و محمد أنور شكري و عبد المنعم أبو بكر و حسن محمود و عبدالنعم حسنين، حضارة مصر و الشرق القديم، دار مصر للطباعة، بدون تاريخ.
2. أحمد سوسة، العرب و اليهود في التاريخ، ط 2، سلسلة الكتب الحديثة، دمشق، 1973.
3. أحمد سوسة، حضارة العرب و مراحل تطورها عبر العصور، بغداد، 1979.
4. إدوارد كيرا، كتبوا على الطين، ترجمة: محمود حسين الأمين، ط2، بغداد، 1964.
5. البير أبونا، المعتقدات الدينية في بلاد وادي الرافدين، ترجمة وليد الجادر، بغداد، 1988.
6. جون أوتس، بابل تاريخ مصور، ترجمة سمير عبد الرحيم الجلي، بغداد، 1990.
7. جان بوتير و آخرون، الشرق الأدنى الحضارات المبكرة، ترجمة عامر سليمان، جامعة الموصل، 1986.
8. جان بوتير و، بلاد الرافدين الكتابة – العقل – الآلهة، ترجمة: البير أبونا، مراجعة وليد الجادر، بغداد، 1990.
9. رعد عبد القادر عباس، العصر الأكدي معطياته الحضارية و الفنية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب، قسم الآثار، 1996.
10. سلمي سعيد الأحمد، العراق القديم، ج 1، مطبعة الجامعة، بغداد، 1978.
11. سامي سعيد الأحمد، العراق القديم (العصر الأكدي حتى نهاية سلالة بابل الأولى)، ج 2، بغداد، 1983.
12. سامي سعيد الأحمد، "الإدارة و نظام الحكم"، حضارة العراق، ج2، تأليف نخبة من الباحثين، بغداد، 1985.
13. سيتون لويد، آثار بلاد الرافدين من العصر الحجري القديم حتى الإحتلال الفارسي، ترجمة: سمي سعيد الأحمد، بغداد، 1980.
14. صالح أحمد العلي، محاضرات في تاريخ العرب، ط2، ج 1، بغداد، 1959.
15. طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج 1، ط 1، بغداد، 1973.
16. طه باقر، مقدمة في أدب العراق القديم، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1976.
17. طه باقر و فاضل عبد الواحد علي و عامر سليمان، تاريخ العراق القديم، ج 1، بغداد، 1980، ص 143.
18. عامر سليمان، القانون في العراق القديم – دراسة تاريخية قانونية حضارية، ج 1، الموصل، 1977.
19. عامر سليمان و أحمد مالك الفتيان، محاضرات في التاريخ القديم، بغداد، 1978.
20. عامر سليمان، العراق في التاريخ القديم، ج 1، ط 1، الموصل، 1992.
21. عبد القادر عبد الجبار الشخلي، المدخل إلى تاريخ الحضارات القديمة، القسم الأول، الموصل، 1990.
22. عبد الرضا الطعان، الفكر السياسي في العراق القديم، دار الرشيد، بغداد، 1981.
23. عبد الكريم عبدالله، "ألقاب حكام السلالات و إسم أكدي"، مجلة كلية الآداب، ملحق، بغداد، 1978.
24. فاضل عبد الواحد علي، عشتار و مأساة تموز، منشورات وزارة الإعلام بالجمهورية العراقية 162، بغداد، 1973.
25. فرج بصمجي، نبذة في تاريخ العراق القديم، بغداد، 1960.
26. فرج بصمجي، كنوز المتحف العراقي، وزارة الإعلام، السلسلة الفنية، مديرية الآثار العامة، بغداد، 1972.
27. فوزي رشيد، "سرجون الأكدي"، الموسوعة الذهبية، العدد 1، وزارة الثقافة والإعلام، ط 1، بغداد، 1990.
28. كزار فوزي عبد علي، الملك الأكدي نرام - سين سيرته و منجزاته، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب، قسم الآثار، 2017.
29. ليونارد وولي، وادي الرافدين مهد الحضارة، تعريب أحمد عبد الباقي، ط 1، مصر 1948.
30. نيكولا بوسنغيت، حضارة العراق و آثاره - تاريخ مصور، ترجمة: سمير عبد الرحيم الجلي، دار المأمون للترجمة و النشر، بغداد، 1991.

References

1. Adil Naji, Akkadian Cylinder Seals in the Iraq Museum, Unpublished M. A. Thesis, Birmingham University, 1965.
2. Brian Lewis, "The Sargon Legend", ASOR, Cambridge, 1980.
3. Brian Lewis, "The Sargon Legend- A Study of the Akkadian Text and the Tale of the Hero at Birth", JNES, Vol. 43, 1984.
4. C.J. Cadd, The Cambridge Ancient History, Vol. I, Part 2, Cambridge, 1971.
5. Drews Robert, "Sargon Cyrus and Mesopotamian Folk History", JNES, Vol. 33, No. 4, Chicago, 1947.
6. Dury, Carel J. ., Volker der Alten Orient, Baden, 1969.
7. Edmund I. Gordon, "Of Princes and Foxes: The Neck-Stock in the Newly Discovered Agade Period Stele", Sumer, Vol. XII, No. 1-2, Baghdad, 1956.
8. George Rawlinson, The Religions of the Ancient World, N.Y., 1885.
9. Henry Frankfort, Birth of Civilization in the Near East, New York, 1950.
10. Henry S. Lucas, A Short History of Civilization, York, 1943.
11. Erica Hunter, First civilization, Belgium, 1994, P. 53.
12. Jack Finegan, Light From the Ancient Past, U.S.A., 1954.
13. J. B. Pritchard, "Akkadian Myths and Epics", Edited by Speiser, ANET, New Jersey, 1969.
14. J.E.S. Edawrds, C. J. Cadd, N. E. L. Hammond, The Cambridge Ancient History, 3rd Edition, Cambridge University Press, 1970.
15. Robert McC Adams, Land Behind Baghdad, Chicago, 1965.
16. S. C. F. Brandon, Religion in Ancient History, N. Y., 1969.
17. Schulze Franz., Art, Architecture and Civilization, University of Virginia, 1968.
18. Seton Lloyd E.S.A., Twin Rivers, Oxford, 1943, PP. 31-33.
19. Sidney Smith, Early History of Assyria to 1000 B.C., London, 1928, P. 82.
20. Mary, G. Hauslon., Ancient Egyptian Mesopotamian Persian Costume and Decoration, London, 1854.
21. Nicholas Postgate, The First empires, Belgium, 1977.
22. William W. Hallo and William K. Simpson., The Ancient Near East; A History, U.S.A., 1971.